

مشكلة المنهج في العلوم الاجتماعية، كارل بوبر أنموذجا
The problem of the curriculum in social sciences, Carl Popper Is a model
إبتسام صاولة¹

¹ جامعة الجزائر 02 أبو القاسم سعد الله (الجزائر)، saoula.ibtissem@univ-alger2.dz

تاريخ الإرسال 2022/01/12 تاريخ القبول: 2022./06/22 تاريخ النشر: 2022/12/20

ملخص:

عدت فلسفة كارل بوبر من أهم الاتجاهات الفلسفية المشكلة لمعالم الفكر الغربي خلال القرن 20 م ومطلع القرن الحادي والعشرين، قد مثلت نقطة تحول في تاريخ فلسفة العلوم، ولا يكاد يذكر موضوع الاستبصامولوجيا أو المنهج العلمي إلا وكان بوبر متميزا بطرحه ونقده للفلسفات التقليدية التي سبقتها، كما تميزت فلسفته في العلوم الاجتماعية بالجدّة والتفرد في الطرح والأهم من ذلك بواقعه، ولأن بوبر ينطلق دوما خلال مناقشته لأي موضوع كان سياسيا أو اجتماعيا من الواقع المعاش حيث يمكن اعتبار عمله المنهجي والاستبصمولوجي على أنه نقد لكل الفلسفات القائمة على الاعتقادات الذاتية أو الملاحظة مثل: التجريبية الكلاسيكية، المثالية، الوضعية، الظواهرية النفسية... الخ ومن ذلك وسع بوبر انتقاداته إلى جميع أشكال المناهج التاريخية في العلوم الاجتماعية لاسيما تلك المؤسسة على النزعة الكلية والماهوية. ويمكن القول أنه ابتدع نسقا فلسفيا كالأنساق الفلسفية الكبرى إلا أن نسقه تميز بالإحكام المنطقي والتأسيس المنهجي لأن فلسفته جاءت لتعلن الحرب على الجمود والتعصب الفكري الذي أصبح تقليد.

الكلمات المفتاحية: مشكلة، المنهج، العلوم الاجتماعية، كارل بوبر، مبدأ التكذيب، الهندسة الاجتماعية.

Abstract:The philosophy of Karl Popper is one of the most important philosophical trends for Western thought during the 20th century and the 21st century, has represented a turning point in the history of the philosophy of science. His philosophy in social sciences is characterized by grandfather and uniqueness in the subtraction and most importantly, if Popper will always launch during his discussion of any political or social sites where his systematic and actual work could be considered criticism of all the philosophies based on self-belief or observation such as: Classic Trial, Ideal, status, psychological phenomena ... etc., and Popper expanded his criticism to all forms of historical curricula in social sciences, especially that institution on the macro and paste It can be said.

Keywords;Problem;curriculum;social sciences;Carl Popper;Social Methodology.

توطئة (مقدمة):

إن إشكالية العلوم الاجتماعية والإنسانية متعددة منها ما هو متعلق بالمنهج هذه العلوم وموضوعيتها وقدرتها التفسيرية وعلاقتها بالإيديولوجيات وتدخلها مع دوافع ومصالح غير علمية وهناك إشكاليات أخرى منهجية ومعرفية ولربما لانكون مجانين للصواب ان نحن أعدنا بدء السؤال عن المنهج هو سؤال الفكر الإنساني ذاته وحجتنا في ذلك ان الانعطافات الجذرية التي عرفها هذا الفكر غالبا ماكان سؤال المنهج ابرز مؤشر عليها وذلك هو الحاصل مع كتاب الاورغانون لأرسطو ثم الارغانون الجديد مع فرنسيس بيكون وبعده كتاب مقال عن المنهج لديكارت الذي دسنت عتبة ولوج الحداثة وكتاب منطق الكشف العلمي لكارل بوبر وكذلك مقارنة بغيره من الخطابات التي أكدت على المنهج وذلك هو الحاصل مع فيرايند خاصة في كتابه ضد المنهج وكذلك توماس كوهن في بنية الثورات العلمية وامري لاكاتوس ان تجاهل سؤال المنهج وحتى لا نعيد تكرار الأزمة المدرسية حول الخصوصية الإستمولوجية للعلوم الإنسانية والاجتماعية الناتجة عن تداخل الذات والموضوع ومدى قابلية الظاهرة الإنسانية للتكميم وهذا ما نتج عنه اختلاف بين الاتجاهات الوضعية ذات نزوع علمي وأخرى كيفية ذات منزع فهمي باختلاف صورها وتنوع اتجاهاتها في ما بين الفينومينولوجي والهيرمونيطيقي والتأويلي.

وهنا ظهر موقع المنهج في العلوم الإنسانية في ما بين الكلية والفردية المنهجيتين لان هذا السؤال ينطوي بشكل من الأشكال على السؤال الكمي والكيفي داخل ذات الحقل من دون أن ندعي لأنفسنا جدارة مقارنة هذا الإشكال في شموليته بل محاولة تقصي مشروعية الحديث عن وحدة المنهج في ما بين العلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية مسترشدين في ذلك بالاقتراب مما قدمه في هذا الموضوع الفيلسوف والإستمولوجي صاحب العقلانية النقدية كارل ريموند بوبر مركزين تحديدا على مقاربتة الإستمولوجية للعلوم الاجتماعية فكيف إذا تتحدد العلوم الاجتماعية من منظور النمساوي كارل بوبر ؟ ثم ما مدى مشروعية الحديث عن وحدة المنهج بين العلوم الاجتماعية والطبيعية ؟ وهل فعلا يمكن ردها للعلوم الطبيعية ردا منهجيا ؟ وهل خصوصية العلوم الاجتماعية لا تقف حائلا دون بلورة هذه الوحدة المنهجية ؟

1.كارل بوبر (مرجعته الفكرية):

إن القارئ لسيرة بوبر يلاحظ انه اعتنى في العناوين الأولى لأقسامها بالعوامل التي ساهمت في تطوره الفكري منها مشكلة اللاتناهي و هي أول مشكلة فلسفية مبكرة واجهته و هو لا يزال طفلا في الثامنة من عمره ، كذلك كانت الماركسية ذات تأثير خاص في التطور الفكري لكارل بوبر على الأقل أنها مثلت تجربة تحول جذري بالنسبة له فقد كانت الباعث على فكرة التكذيب والنقد كمعيار مميز لخصائص النظرية العلمية وعلى اثر ذلك يروي بوبر أنه قد قرأ عدة أعمال لكارل ماركس ، انجاز. (محمد محمد قاسم ، 1976 ، صفحة 21) لم يكن اهتمام بوبر منصبا على النظريات الأكثر قبولا من حث تحققها التجريبي لأن مسألة التحقق من النظريات.

كانت ميزة المنهج الاستقرائي ، بالرغم من أن النظريات الملاحظة أو التجربة التي يقوم عليها الاستقراء ، تساعدنا في التحقق من عملية النظريات، لكن لا يمكن اعتبارها معيارا كافيا للتمييز فالتنجيم مثلا يستعين بالملاحظة إلا أن تصوراته تبقى غير علمية.

لقد كان بوبر متابعا لجميع علوم عصره ، والأمر الذي أوحى له بمبدأ التكذيب كمعيار للتمييز هو التباين الشديد بين الماركسية و الفرويدية من جهة ونظرية أينشتاين من جهة أخرى وأدرك الأهمية الموضوعية لمعياره في التمييز. ويؤكد ذلك بقوله " من الضروري أن أشير إلى الجو الذي أدى إلى نشأته (مبدأ التكذيب) من الأسباب التي ألهمتنني إلى صياغته هي بعض النظريات التي أثارت اهتمامي والنظرية الأكثر أهمية بال منازع كانت نسبية أينشتاين والنظريات الثلاث الأخرى المتمثلة في نظرية التاريخ لماركس ونظرية التحليل النفسي لفرويد وعلم النفس الفردي لألفرد أدلر." (جورج طرابشي، 2006، صفحة 198)

2. أساسيات المنهج البوبري في العلوم الاجتماعية :

حاول الباحثون منذ الوعي بالظاهرة الاجتماعية مع تعاقب المراحل التاريخية أن يؤسسوا نظريات قادرة على تفسير آلية تسيير المجتمع الإنساني وظواهره المتعددة وفهم ديناميكية المجتمعات البشرية وسلوك جماعاتها وذهنية أفرادها إلا أن هذه المحاولة لم تكن ناجحة بشكل مرض مقارنة بمثيلاتها في العلوم الطبيعية ويعود ذلك إلى كون أن النظرية الاجتماعية التي تعلن أنها تمتلك قدرة تفسيرية ذات صيغة موضوعية تضمنت جانباً ذاتياً لم تتمكن من التخلص منه خلال دراستها لظواهر الاجتماعية بل وهو ما يظهر في نتائجها، و كان من الصعب عزل الدراسة في الظاهرة الاجتماعية عن تأثيرات الشخصية و البيئة الاجتماعية فقد صيغت كل نظرية اجتماعية بقيم و معايير المفكر الاجتماعي الذي حاول أن يعمم وجهة نظره على كل المجتمعات البشرية و لما كانت هذه الذاتية تعكس صفو التوجه العلمي و نقائه فان تجاهل الدراسة الاجتماعية للفترة الزمنية والمكانية وكيفية تغيير المجتمع من زمن إلى آخر ومن جماعة إلى أخرى يبعد هذه الدراسة عن الموضوعية وينتج فرضية اجتماعية حاملة لطابع وبنية المجتمع الذي ولدت فيه فقط وبالتالي لا يمكن تعميمها لتفسر كل المجتمعات البشرية بمثابة قوانين تحكم تقدمها وبالتالي كان هذا بمثابة اعتراف يفشل العلوم الاجتماعية في بناء نظريات تفسيرية قادرة على خدمة الإنسان. (اختيار، 2010، صفحة 183)

يمكن القول أن الظاهرة الاجتماعية و تدخلها في الدراسة كموضوع مع ذات الدارس تفرض تعدد إشكالاتها من ناحية المنهج و الموضوع وإمكانية قيامها بنفس القدرة التفسيرية كم في العلوم الطبيعية بل إن منها ما يدخل مع مقاصد ونوايا غير علمية ومن هنا يتبادر إلى أذهاننا أن نتساءل كيف تعامل كارل بوبر كفيلسوف علم مع منهج العلوم الاجتماعية والإنسانية و هل استطاع تطبيق فلسفته العلمية على علوم بدا للكثير من العلماء والفلاسفة أنها تختلف عن العلوم الطبيعية منهاجاً وموضوعاً؟ ولما كان هناك عدة نقاط اختلاف بين العلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية والإنسانية، كيف استطاع بوبر أن يجعل معياره قابلاً للتطبيق في هذه العلوم؟ وهل ما ينطبق على العلم الطبيعي ينطبق على علم موضوعه سلوك الإنسان الاجتماعي؟

يبدو أن بوبر ينظر للأمر من زاوية مختلفة فهو يعالج هذه النقطة من خلال اعتقاده بوجود تشابه بين الطبيعية والاجتماعية بناء على عدة خطوات هي:

أولاً: الانطلاق من نظرية و ليس من ملاحظة حسية.

ثانياً: وحدة المنهج الفرضي الاستنباطي.

ثالثاً: مبدأ المحاولة و الخطأ: الذي يمثل آلية سير العلوم و تطورها.

رابعاً: العقلانية النقدية التي يرفعها شعاراً يجب أن يتصف بها كل باحث و تمثل هذه الخطوات من منظور بوبر عملية البحث العلمي التي تقرب المعرفة العلمية أكثر من الموضوعية. (اختيار، 2010، صفحة 263)

وعلى هذا الأساس يقول بوبر: "نستطيع أن نظفر بأفضل تفهم لمناهج العلوم الطبيعية و بالمثل تماماً لمناهج العلوم الاجتماعية و إذا سلمنا بأن العلم دائماً يبدأ بمشكلات و ينتهي بمشكلات ويمكن التقدم العلمي أساساً في تطور المشكلات العلمية، ويمكن تقييم التقدم العلمي بواسطة الزيادة في هذه المشكلات العلمية وشرائها وخصوصيتها وعمقها. (كارل بوبر، ، تريمني طريق الخولي، 2001، صفحة 185) إضافة لذلك فان العديد من أفكاره ظلت مهيمنة في العلوم الاجتماعية و السياسية تماماً مثل العلوم الطبيعية حيث سخر بوبر مؤلفيه "المجتمع المفتوح وأعداؤه" و "عقم التاريخانية" والكثير من المقالات لفلسفة العلوم الاجتماعية و مناهجها، يتضح من خلالها هجومه على التاريخانية الذي هو محور دراستنا هذه ودفاعه عن مبدأ الفردية المنهجية ومنطق المواقف أو التحليل الموقفي في دراسة الظاهرة الاجتماعية و تظهر أهمية هذه الأفكار على الساحة العلمية من حيث ما طرح من كتابات حولها و مثل ذلك الفكر السياسي عند كارل بوبر الذي يناقش الفكر السياسي والنهج العلمي عند بوبر وكتاب ويليام غداتون الذي عنوانه كال بوبر والعلوم الاجتماعية و كتاب بعنوان بوبر هايك والمجتمع المفتوح وأيضاً كتاب مجتمع بوبر المفتوح بعد خمسين عاماً وغيرها من المؤلفات الكثيرة في هذا المجال. (اختيار، 2010، صفحة 278)

3. تعريف بوبر للعلوم الاجتماعية:

نقترح الشكل الذي بحسبه تأخذ العلوم الاجتماعية مكانها في النسق الاستيمولوجي لكارل بوبر و لهذا فإن أول سؤال يتبادر إلى الذهن عند التفكير في ذلك هو ما مدى عملية العلوم الاجتماعية من وجهة نظر الاستيمولوجيا البوبرية؟

وأن نحن استحضرن أن لدى معيار علمية النظريات العلمية مبدأ قابليتها للتكذيب الدحض أي أن النظرية تكون علمية حين استنادها إلى نتائج و تنبؤات يمكن تنفيدها، وحيث أن ناول انطباع الخروج به عند المقارنة بين العلوم الطبيعية و العلوم الاجتماعية هو القطرة المذهلة الولي على التنبؤ بدقة خاصة الفيزياء التي تمثل براديجم البحث العلمي بالنسبة لبوبر في حين لا تقدم الثانية سوى نظريات تبقى في معظمها نظريات تفسيرية فإن السؤال الذي يطرح هو هل مراد ذلك إلى اختلاف في المنهج ؟

قد تكون الإجابة البوبرية مفاجئة فهو يدافع عن أطروحة مفادها أن العلوم الاجتماعية ليست علمية فقط بل أكثر من ذلك هي تكشف أساس عن اعتماد المنهج نفسه مثل العلوم الطبيعية و سيتجلى ذلك من خلال عرض الموقف البوبري بما يعنيه بالعلوم الاجتماعية لنقف بعد ذلك عندما يخلق تقاربا بين هذه العلوم و العلوم الطبيعية إذ فما يقصده بوبر بالعلوم الاجتماعية ؟ إن طرح كهذا سؤال ما العلوم الاجتماعية ؟ لا يحظى برضا كارل بوبر لأن الدقة بالنسبة إليه لاحقا للوضوح و يتجلى هذا بقوله : "الوضوح في ذاته له قيمة، أما الدقة اللسانية فهي بمثابة شبح، والمشاكل المرتبطة بمعاني الكلمات و تعريفها تظل من غير أهمية". (كارل بوبر، بدون تاريخ، صفحة 22)

4. خصوصية العلوم الاجتماعية عند بوبر:

بالرغم من قوله بواحديّة المنهج فإن بوبر لا يجد بديل حتى لم يكن بمقدوره أن ينفي وجود اختلافات في ما بين العلوم الطبيعية و العلوم الاجتماعية فالإنسان ليس هو الذرة، و هو لا يسلك مثلها و هو ما ينعكس أثره على مستوى التجريب و الدقة إذ يصبح ذلك صعبا بالنظر إلى الطبيعة المتحولة و المعقدة للعلاقات الاجتماعية فكون الإنسان كائنا مفكرا، أي كائنا يثر و يتأثر بنظريات هو ما يجعل الواقع الاجتماعي ديناميا و غير قابل للتنبؤ به إلا أن هذه الاختلافات لا ينبغي أن تقود بحسب بوبر إلى التخلي عن القول بالمنهج الواحد.

4.1. الطابع المعقد للتجريب و صعوبته:

الاختلاف الأول هو مشكل التكميم لكونه من خصائص العلوم الطبيعية (الفيزياء على الخصوص) التي تضيف بشكل كافي الطابع الصوري على نظرياتها لتسمح بمقاربة كمية وهذا التكميم هو الذي يسمح ببلوغ تنبؤات أكثر دقة أما بالنسبة للعلوم الإنسانية فعن هذا المشكل يبقى ويظل عسيرا و شائكا لكن بعض هذه الصعوبات يمكن أن تحل و قد تم حلها بالفعل عبر استعمال المناهج الإحصائية خذ مثلا: علم الاقتصاد لأن معالمنا هنا هي ذاتها في أغلب الحالات متغيرات تتبدل بسرعة فبوبر يشير إلى اتجاه للبحث يسير صوب الإحصاءات لأجل تكوين و بناء نماذج بيد أن ذلك يظل عاما و لا يمنح برنامجا مرتبطا بالطابع الإحصائي للبحث في العلوم الاجتماعية فمنذ " بؤس النزعة التاريخية" ظهرت اتجاهات حاولت معالجة هذا المشكل (مشكل الصورة). (كارل بوبر، تر: عبد الحميد صبرة ، 1992 ، صفحة 136) تبقى صعوبات أكثر عمقا ملازمة العلوم الاجتماعية هي مشكلة حركية الواقع التي تجعل التجريب صعبا و لهذا علينا التخلي في العلوم الاجتماعية عن البحث عن شروط ثنائية تلك التي تتمسك بها النزعة التاريخية كما يقول بوبر: "ة الحق أن هناك من الظروف الممكنة ما لا حصر لها و نحن نستطيع امتحان الممكنات في بحثنا عن شروط الاتجاه عند تحقيقها و لكن هذا ما يعنيه ما لا يقدر التاريخاتي على فعله إذ انه لا يسمح لنفسه يتخل الظروف التي يختفي الاتجاه بتحقيقها فالتاريخاتي لا يبني عن تعنيف أولئك الذين يعجزون عن تصور التغيير في عالمهم الصغير... ولكي يتجاوز بوبر مشكلة التجريب في العلوم الإنسانية و الاجتماعية يقترح منهج تحليل يراه جديرا بتقديم الحل هو تحليل الموقف. (كارل بوبر، تر: عبد الحميد صبرة ، 1992 ، صفحة 135)

2.4. تحليل الموقف:

إن صعوبة التجريب في العلوم الإنسانية و الاجتماعية العائدة إلى كون الإنسان كائنا مفكرا و بالتالي يؤثر في النظريات و يتأثر بها تظهر و كأنها تجعل من الوضعيات الاجتماعية وضعيات يتعذر حلها لكن على الرغم من ذلك يبقى بوبر مقتنعا أن الوضعيات الاجتماعية هي على العكس من ذلك أكثر بساطة من الوضعيات الفيزيائية الملموسة بالنسبة إليه إمكانات التجربة ما هي إلا اختلافات في الدرجة بين العلوم الاجتماعية و الطبيعية بل هناك اختلاف أكثر عمقا و أكثر أهمية من دون شك يقتضي بوجود أسباب و وجهة للاعتقاد ليس فق في أن العلوم الاجتماعية هي أقل تعقيدا من الوضعيات الفيزيائية الملموسة لأنه داخل أكثر الوضعيات الاجتماعية أنام يكن كلها هناك مكون

للعقلانية قد تندعش لهذا الإقرار الذي يتم تكذيبه من خلال ما نراه يوميا و لهذا من اللازم اخذ مفهوم العقلانية في مفهومه الأكثر عمومية ، و ذلك يدققه بوبر بقوله : " من البديهي أن الكائنات الإنسانية لا تتصرف تقريبا بطريقة عقلانية إلا أنها تتصرف على الأقل بنسب متفاوتة عقليا " . (كارل بوبر ، ، تر:يمني طريق الخولي، 2001، الصفحات 203-204) بالرغم من ذلك فإن هذا المبدأ يسمح للعلوم الإنسانية بإقامة المنهج الصفري أو المنهج فدرجة الصفر و كما يقول بوبر " نستطيع في العلوم الاجتماعية أن نستخدم منهاجا يمكن تسميته منهج التركيب المنطقي أو المنهج العقلي و ربما أطلقنا عليه أيضا عبارة المنهج الصفري، و اعني بذلك منهج تركيب النماذج بناءا على افتراضات المعقولة التامة..." (كارل بوبر،،تر:عبد الحميد صبرة ، 1992، صفحة 145)

5. ركانز منهج بوبر في العلوم الاجتماعية:

لما عارض بوبر التاريخانية كمنهج فاسد في العلوم الاجتماعية لو يكتف بالنقد و إنما كان دائما يتخلله باقتراحات و فروض بديلة متبعا في ذلك منهجه الفرضي الاستنباطي و عقلانيته النقدية في إصلاح المنهج العلمي ، حيث وردت هذه الاقتراحات متفرقة بين الكتب و المقالات و على هذا الأساس حاولنا أن نجتمع و نلخص آراءه في هذه البدائل و نبين أهم ركانز منهج العلوم الاجتماعية عنده.

1.5. فكرة وحدة المنهج العلمي :

سبق وأن رأينا في عدة مواضع أن بوبر يؤكد دائما على وحدة المنهج العلمي في العلوم ككل والذي لا وجود للاستقرار فيه و لا للتعميم على أساس الملاحظات إذ هو منهج فرضي استنباطي ، ولكن مع ذلك هو يعارض لتقليد الأعمى لمناهج العلوم الطبيعية – الاستقرائية – من طرف علماء الاجتماع لقصور فهمهم الصحيح وفي هذا هو يراعي الفروق الثانوية الخاصة لكل علم عل أنها لا تضر برأيه لوحدة المنهج الأساسي للبحث ، فكيف إذا فسر بوبر هذا الاختلاف وما يقصد بالوحدة في المنهج العلمي ؟ (كارل بوبر،،تر:عبد الحميد صبرة ، 1992، صفحة 124)

يتذكر بوبر فرضية وحدة المنهج هذه في مقدمة الطبعة الأولى انجليزية لكتابه " منطق الكشف العلمي" بأنها تشمل كل المناقشات العقلية، أي في العلوم الطبيعية كما في الفلسفة وحسبه فإن ذلك تضمن صياغة الإشكالية بوضوح و اختبار حلولها المقترحة بالنقد حيث يعرف بوبر المناقشة العقلانية والنقدية بالموقف الذي كلما اقترحنا حلا لمشكلة ما وجب علينا إسقاط هذا الحل بالنقد جاهزين بكل ما أوتينا من طاقة ، بدل الدفاع عنه و تأييده ، ثم في موضع آخر من كتاب " عقم المنهي التاريخي" اقترح بوبر صيغة أخرى لوحد المنهج في كل العلوم التجريبية العملية وأكد على أهمية النقد في المنهج العلمي حث يقول انه سيقترح مذهب وحدة المنهج أي بمعنى النظرة التي من خلالها تستعمل كل العلوم النظرية لتعميمية نفس الطريقة أو المنهج سواء كانت علوم اجتماعية أو طبيعية . كما نجد هذا المذهب أيضا في كتاب المجتمع المفتوح و أعداءه و هنا يلح بوبر إلا انه يجب على العلوم الاجتماعية أن توجه مشاكلها بمساعدة المناهج النظرية التي هي أساسا نفسها في كل العلوم. (كارل بوبر،،تر:عبد الحميد صبرة ، 1992، صفحة 125)

نلاحظ أن بوبر يتمسك جيدا بمنهجه العقلاني النقدي في كل خطوة يخطوها في فلسفة العلوم الاجتماعية، و يبين جذور فكرته في وحدة المنهج في الفقرة التالية حيث يقول : " تكمن نظريتي لمنهج العلم ببساطة في أنها تنظم الطريقة ما قبل العلمية في التعلم من أخطائنا حيث يتم ذلك التنظيم بما يسمى بالمناقشة النقدية ، ويمكن تلخيص نظرتي الشاملة في المنهج العلمي في القول بأنها تتضمن هذه الخطوات الأربع :

- تختار مشكلة ما، بما هي التي تواجهها و نتعثر بها.
- تحاول حلها باقتراح نظرية تكون بمثابة حل مؤقت لها.
- مناقشة النظرية المقترحة تنمو معرفتنا باستبعاد أخطائنا و بهذه الطريقة سنتعلم كيفية فهم مشكلاتها و نظريتنا و الحاجة لحلول جديدة.
- إن المناقشة النقدية لأفضل نظريتنا تظهر دوما إشكاليات جديدة.

و يمكن أن نجتمع هذه النقاط الأربعة في أربع كلمات هي : إشكاليات، نظريات ، انتقادات، إشكاليات جديدة. (كارل بوبر،،تر:عبد الحميد صبرة ، 1992، صفحة 125)

إذا فالمنهج العلمي واحد عند بوبر في تصور ينطلق من فروض تفسيرية -جزئية- لمشكلات تصادفنا ثم نعمل إلى محاولة تفتيحها بكل ما أوتينا من طاقة بالنقد والاختيار لتتقياها بحيث لا يفرق هذا المنهج بين التفسير أو التنبؤ أو الاختيار من حيث أن كلها مؤقت والفرق فقط من ناحية تأكيدها.

إذا تمثل أطروحة وحدة المنهج من دون ك واحدة من الأطروحات التي دافع عنها بوبر بشدة فهو يؤكد أن العلوم الاجتماعية تكشف مسار العلوم الطبيعية نفسه، ولا سيما المحاولة و الخطأ إلى جانب التخمين والتنفيذ فكل معرفتنا تتبع هذا المسار و عليه فعند دراستنا للظواهر الاجتماعية، علينا أن نعين الدقة المنهجية نفسها التي في العلوم الطبيعية وفي الإجمال ليس هناك اختلاف في ما بين مناهج العلوم الاجتماعية و مناهج العلوم الطبيعية على عكس ما يقوله الكثير من المعارضين ، فنصف مؤلف بوبر "عقم النزعة التاريخية" مخصص لعرض ونقد النظريات المضادة للنزعة الطبيعية أي النظريات التي بحسبها ليس بالمقدور تطبيق مناهج العلوم الطبيعية، وبالتحديد الفيزياء على العلوم الاجتماعية "بوبر" يعتقد على العكس من ذلك، لأن نوعي العلوم الاجتماعية و الطبيعية لا يمكن الفصل بينهما من وجهة نظرية منهجية، فهما معا يتبعان صيرورة التخمين والدحض نفسها، فالأمر يتعلق دائما بحذف النظريات الخاطئة و إلغائها و الاقتراب أكثر من الحقيقة وأداة ذلك هي صياغة نظريات قابلة للتكذيب.

2.5. منطق تحليل الموقف:

وقد يوجد هذا المفهوم في اصطلاح آخر هو التحليل الموقفي سماه بوبر هكذا لأنه يتبع في دراسة الظاهرة الاجتماعية تحليل الموقف الاجتماعي على أساس أم الأفراد يتصرفون وفقا للعقل بما يقتضيه الموقف و يرى بأن هذه الفكرة تساعدنا في توضيح بعض خصوصيات مناهج العلوم الاجتماعية حيث ورد هذا المنطق الموقفي أو الموقف الاجتماعي في محاضرة لبوبر بجامعة هارفرد 1963 و قد نشرت هذه المحاضرات في كتابه أسطورة الإطار تحت عنوان " النماذج والأدوات والصدق ص183 " يعني بما انه الخاصة الأساسية لمناهج العلوم الاجتماعية التي تناظر قضايا الشروط الأولية في العلوم الطبيعية، و يمكن فهم النماذج في العلوم الاجتماعية النظرية كمرجع مثالي للمواقف الاجتماعية، ثم في موضع آخر في كتاب " عقم التاريخية " يتابع بوبر متحدثا عن هذا المفهوم بأنه منهج البناء المنطقي أو العقلي أي بناء النماذج و هو على الأرجح أهم فرق تقني ثانوي بين مناهج العلوم الطبيعية و مناهج العلوم الاجتماعية . (كارل بوبر ، تر:يميني طريق الخولي، 2001، صفحة 88)

وحسب بوبر فإن منطق الموقف يفترض بوجه عام عالما فيزيقيا أين يكون للأفراد تصرفات مختلفة ويحوي هذا العالم موارد و عوائق فيزيقية، والتي لدينا بعض المعلومات حولها ، كما يفترض أيضا عالما اجتماعيا يقطنه أناس آخرون لهم اهتمامات وأهداف خاصة ، ونشأت عن تداخل هذين العالمين مؤسسات اجتماعية تحدد الطابع الاجتماعي المتميز لبيئتنا الاجتماعية، التي لا يمكن للمذهب النفسي أن يفسرها لأنه ليس هناك طريقة يمكن عرض الحالات الشخصية للأفراد على الاختبارات التجريبية، فالمشاعر و الأحاسيس و العواطف كلها مقصاة من منطق الموقف، ولكن فقط ما يصدر أو يظهر من أفعال انعكاسية لها هو ما يمثل مادة البحث في علم الاجتماع. (كارل بوبر ، تر:يميني طريق الخولي، 2001، صفحة 196)

وبمعنى ما يقارب بوبر بناء النماذج في الدراسة الاجتماعية، بالنماذج الشهيرة للجزيئات التي يشدها علماء الكيمياء العضوية، و التي تمثل ترتيب الذوات فيما بينهما بروابط كيميائية مختلفة النوع والعدد على أن هذا الترابط لا يمثل القوانين التي عن طريقها تتماسك الجزيئات معا، ولكن في موضع ينتهي النموذج النمطي للنظرية لتظهر القوانين المجردة التي تحكم التأثير المتبادل لمختلف الأجزاء بحيث يكون هذا المثال في العلوم الاجتماعية يقصد به التفسير وفهم الأحداث الاجتماعية والتاريخية انطلاقا من النماذج. (كارل بوبر ، تر:يميني طريق الخولي، 2001، صفحة 143)

3.5. الفردانية المنهجية:

يمكن أن يتخذ هذا المذهب اسم المذهب الفردي المنهجي وهو عكس الكلية المنهجية حيث ترى هذه الأخيرة أنه لا يمكن حصر مفهوم المجتمع في مجموع الأفراد المكونين له، فلو كان كذلك كما يذهب " إيميل دوركايم" لما أصبح لعلم الاجتماع موضوعه الخاص به، باعتباره تخصصا علميا مستقلا بذاته ، لأن ذلك يرجع إلى الظواهر الاجتماعية لعلم النفس الفردي، وقد أكد كارل ماركس من جهته أيضا أن منطق أنماط الإنتاج وإن كان مرتبطا على الأفراد إلا أنه لا يتم إلا من خلال التناقضات الاقتصادية والسياسية والإيديولوجية ويلح المنتمون للبنائية والبنائية الوظيفية

بدوهم بدرجات مختلفة على أسبقية البنية على الفرد حيث يعتبر الاهتمام بالظاهرة الاجتماعية اهتماما المحددات الاجتماعية التي تفسر السلوكيات الفردية. (العزیز، 2009، صفحة 142)

أما الفردانية المنهجية فتري أن كل الصعوبات الجماعية تسق في النهاية تحت رحمة قاعدة شفرة أخام، وأن الحقيقة الوحيدة التي يمكن ملاحظتها هي الفاعل الفردي، ويعتقد أصحاب النظرية الاقتصادية الكلاسيكية الجديدة وعلماء الاجتماع المساندون " لبريمون برودن" أن كل الظواهر الاجتماعية ناتجة عن تجميع السلوكيات الفردية و من أجل كل دراسة هذه الظواهر الاجتماعية يجب الانطلاق من مسببات الفاعل، ويرفض المدافعون عن الفردانية المنهجية وجهة النظر التي ترى أن الفاعل الفردي ما هو إلا حصيلة نتائج للبيئة. (العزیز، 2009، صفحة 143) ويبدو أن "بوبر" من أنصار الفردانية المنهجية من خلال عدة نصوص له إلا أن أفكاره من الناحية العملية إلى المنهجية النسبية وهو ما سنحاول توضيحه من خلال تحليل بعض أقواله في هذا الشأن ، وقد جاء استعماله لهذا المفهوم أول مرة في كتابه " عقم التاريخانية" بعنوان المنهج ، حيث يؤكد على تميزها عن النزعة النفسية وهي النظرية التي ترى أن كل قوانين الحياة الاجتماعية يجب أن ترد بشكل تام إلى القوانين النفسية للطبيعة الإنسانية لذا فمن المحتمل أن يختلط مفهوم المنهجية الفردانية الذي يقوم في تحليله على العقل وليس على قوانين علم النفس، دون إغفال الموقف الاجتماعي، بشكل أو بآخر مع مذهب النزعة النفسية، الذي يشارك مع الفردانية المنهجية في التعارض العقلي للكلية والشمولية وكون المذهب النفسي أيضا يؤكد على أن سلوك وأفعال الجماعات مثل الدول أو المجموعات الإنسانية. (العزیز، 2009، صفحة 197)

ثم إن بوبر يعرف المنهجية الفردانية في موضع آخر ولا يشير أصلا إلى ما يسمى بقوانين الطبيعة البشرية أي علم النفس ، وإنما يؤكد على التحليل العقلي ومن ذلك قوله أن المنهجية الفردية تدعم المذهب القائل إن الظاهرة الاجتماعية وعلى وجه الخصوص وظائف كل المؤسسات الاجتماعية، يجب أن تفهم دائما كنتيجة لقرارات وأفعال ومواقف الأفراد الإنسانية، ولا يجب أن نرضى أبدا بتفسير على نحو ما يسمى جماعات دول أمم أجناس.

يمكن أن نلاحظ أن منطق الموقف و المنهجية الفردانية وجين لعملة واحدة وبفضل الأول يمكن تجنب الخلط والاختلاف بالمذهب النفسي الذي يعتمد في تفسيره على نظرية تقول بوجود شي يشترك فيه كل الأفراد وتسمى هذه الأشياء المشتركة بالطبيعة الإنسانية لكن مع تطور الوعي قليل هم من يقبلون بهذه الفروض. (كارل بوبر، بدون تاريخ، صفحة 101)

4.5. الهندسة الاجتماعية:

حاول بوبر أن يبني نسقا فكريا متكاملًا بان يبقى آمينا لمبادئه التي شكلت انطلاقته في فلسفة العلوم الطبيعية لينقلها فيما بعد إلى السياسة والمجتمع، وقد لاحظنا ذلك في التزامه حتى في هذا الميدان من الدراسة بالمنهج الفرضي الاستنباطي والتعلم من المحاولات والخطأ وغيرها من المبادئ التي ركز عليها سابقا لنرى في النهاية إن دراسته التحليلية النقدية للمجتمعات المغلق والسياسة وحالة السكون اليوتوبي، تناظر نقطة لنقطة عملية نمو المعرفة وأن العلم لا يمكن أن يؤسس معرفة يقينية بحيث يمكنه البقاء عليها ، فوبر يهدف في كلتا الحالتين إلى استخدام عملية التغذية الراجعة التي على أساسها تقترح الفروض الجزئية وتبذل كل ما في وسعنا لنفدها وتمحيصها ، حتى نتمكن من استبعاد الخطأ في ضوء التجربة لتظهر إشكاليات جديدة تحتاج هي الأخرى إلى حلول، وتلك هي العقلانية النقدية إلى تجسيدها الهندسة الاجتماعية الجزئية في السياسية والمجتمع. (مصطفى، بدون تاريخ، صفحة 189)

يجعل "بوبر" دور هذه الهندسة الجزئية في الكشف عن العقبات التي تعترض الفعل الاجتماعي النموذجي، أي أنها تدرس مرونة و استجابة المادة الاجتماعية أن تحاول وضع أسس تكنولوجية تسمح بتطوير فاعلية علم الاجتماع في ترقيع وتعديل المؤسسات، وإصلاح الموقف الاجتماعي حيث يقوم هذا الترميم على أساس النقد للفروض الاجتماعية في بناء نموذج إصلاح للموقف الاجتماعي أي التطبيق العملي لنتائج التكنولوجيا الجزئية النظرية ومحاولات تصميم النظم الاجتماعية الجديدة، وإعادة التركيب وترتيب ما هو موجود منها قبلًا بالنظر إلى هذه النظم على أنها وسائل لتحقيق غايات معينة، وباعتبار هذه النظم كالحصون لا يكفي أن يحسن تصميمها. فعالم الاجتماع التكنولوجي لا يأخذ ما يسمى بقوانين التاريخ لأنه يعتقد بقدرة الإنسان في السيطرة على الأقل على جزء من مصير الخاص. (مصطفى، بدون تاريخ، صفحة 190) مما سبق يمكن القول أن إستيمولوجيا "بوبر" تتميز بالمرونة وتتخذ من العقلانية النقدية محركا طاقتها لها، سواء ي العلوم الطبيعية أو العلوم الاجتماعية فهي تتلخص في انتقاء وجود قانون ثابت للتطور، لأن المشاكل في ميدان الطبعة و المجتمع متعددة واقتراح حلول لها يختلف بالزمان والمكان ومن باحث لأخر كما أن

حركة المجتمع دائمة يصعب رصد خلفياتها ومسارها والأهداف التي يسعى أفرادها لتحقيقها ومنه فلا يمكن تمثيل حركة أي مجتمع بقانون واحد ثابت، مثل قانون التعاقب أو الدورية المادية التاريخية لأن المجتمع عبارة عن مجموعة من الاتجاهات المتباينة المتداخلة في تقدمها وتطورها وعلى هذا الأساس كانت الهندسة الجزئية أحسن حل بالنسبة للمساعي البوبرية في تحقيق منهج لدراسة الظاهرة الاجتماعية وتطوير علم الاجتماع بهدف تحقيق حركة إصلاحية ذات فعالية واقعية للمؤسسات والنظم الاجتماعية.

الخلاصة:

نصل في الأخير إلى خاتمة نتائج هذا البحث المتواضع الذي تناول جزءا ضئيلا من فلسفة كارل بوبر لكنه صاغ الخطوط الأساسية لها و انطلاقا من المقدمات السابقة سنحاول أن نقدم حوصلة هذا الطرح الفلسفي في مجموعة من النقاط الرئيسية التي تقيم هذه الخطوة الإستيمولوجية:

- 1- بروز الجانب العقلاني لبوبر في محاولته بناء علم التاريخ منبثقا من موضوعية العلوم الاجتماعية و الإنسانية التي أسس لها.
 - 2- رفض بوبر فكرة وجود خطة كامنة في حوادث التاريخ فالإنسان هو صانع مسيرته المعرفية و المؤرخ هو الذي ينتقي من الماضي ما ينفعه.
 - 3- أن ما يستقطب الانتباه هو تفرد و تميز فلسفة بوبر عن غيرها فقد رأينا أن هذا الفيلسوف قد أهتم بالمسار التاريخي للعلوم بشقيها مطبقا نتائج البيولوجيا على مسار الفكر الإنساني عامة و هو الأمر الذي اختص به دون سواه.
 - 4- معالجة أكبر إشكاليات العلم (أزمة المناهج) الناتجة عن تعدد العلوم و تفرع الاختصاصات و أدى به هذا الخوض في الاتجاهات عديدة واقعا في ازدواجية فكرية بين العلم و منهجه.
 - 5- إن حديثنا عن أسلوبه أمر تفرضه البنية التي تأسست عليها فلسفته ككل لأننا لا نستطيع أن نفهم النقد الإستيمولوجي الذي وجهه بوبر للتاريخياتة مثل أن نفهم كيف انتقد المناهج في العلوم الطبيعية ما يعني فعلا التكامل و التناسق المنطقي و المنهجي في فلسفته و هذا كله يدل كما يرى الدكتور لخضر مذبوح على فكرة التفتح التي تقوم عليها فلسفة بوبر
 - 6- يعبر كتاب " المجتمع المفتوح" و "عقم المذهب التاريخي" بالنسبة لبوبر بمثابة الدفاع عن الحرية ضد الأنظمة الشمولية و الأفكار الاستبدادية و كتحذير من خطر خرافات التاريخياتة و النبوءات الزائفة كمنهج عقيم في العلوم الاجتماعية.
 - 7- فإن بوبر فيلسوف علم كونه قدم للإنسانية منهجا خاصا فعال حدد له هدف و غاية خدمة الإنسانية و على هذا جاءت فلسفته تصويرا صادقا لأحداث القرن 20 م.
 - 8- بوبر لشاب هو نفسه بوبر الكهل على غرار هيجل و أفلاطون لقد ظل صادا متمسكا على نفس الرأي في كل كتاباته سواء موقفه حول معيار القابلية للتكذيب أو أولوية التاريخ.
- و في الأخير القول أن ما يمكن قوله حول بوبر أنه فيلسوف علم بامتياز يحمل خطاب إستيمولوجي في طياته روح تنزع إلى المثالية التي تعيش من أجل عالم أفضل يعم فيه السلام و قد حقق نقده للتاريخياتة و المناهج المعتمدة في العلوم ثورة أسماها البعض لكانط القرن 20 م العشرين و هو تكمن قيمة خطابه الإستيمولوجي.

الإحالات والمراجع:

1. جورج طراباشي. (2006). معجم اللغة، ط 3. بيروت: دار الطليعة.

2. خواجه عبد العزيز. (04 03, 2009). النقاشات المنهجية التأسيسية الكبرى في فلسفة العلوم الاجتماعية. الواحات للدراسات و البحوث الجزائر المطبعة العربية ، صفحة 142.
3. عادل مصطفى. (بدون تاريخ). كارل بوبر، مائة عام من التنوير و نظرة العقل، ط3. بيروت: دار النهضة العربية.
4. كارل بوبر. (بدون تاريخ). بحث عن عالم أفضل.
5. كارل بوبر ، تر:يمني طريق الخولي. (2001). أسطورة الإطار في دفاع عن العلم و العقلانية. الكويت: عالم المعرفة.
6. كارل بوبر، تر:عبد الحميد صبرة . (1992). بؤس الايديولوجيا، نقد مبدأ الأنماط في التطور التاريخي. بيروت: دار الساقى.
7. ماهر اختييار. (2010). اشكالية معيار قابلية التكذيب عند كارل بوبرفي النظرية و التطبيق. دمشق: منشورات الهيئة للكتاب دمشق ، وزارة الثقافة.
8. محمد محمد قاسم . (1976). كارل بوبر ، نظرية المعرفة في ضوء المنهج العلمي. الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية مصر.